* أكرم الناس أصلاً

قال معاوية ذات يوم : ـ وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم ـ أخبرونى عن :

أكـــرم النـــاس أبـاً وأمـــا ، وعمًّـــا وعَمّـــةً .
وخـــــالا وخـــــالة ، وجـــــدًّا وجـــــدة

فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ثم قال .

هُـــوَذَا ...
أبوه علـىّ بن أبـى طـالب .
وأمـــه فاطمـة بنـت رسـول الله ﷺ
وعمـــه جعفـــر الطيـــار .
وعمتـــه أم هانىء بنـــت أبـى طـالب .
وخـــاله القـــاسم بـن رسـول الله ﷺ .
وخـــالته زيـنب بنـت رســول الله ﷺ .
وجـــده رســول الله ﷺ .
وجـــدته خديجـة بنـــت خويلـد .
فســـكت القـــوم ، ونهـــض الحســـن !

* نظرات صائبة لسُكَينة بنت الحسين الأدبية !

آنشدها شاعر يوما هذا البيت :

ذهب الذيـن يُعَـاشُ فى أكْنَافهـــم وبقيتُ فى خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ (١)

فلم تتمالك أن قالت :

لله أبوه ! ما كان أشعره !

قالوا : وكيف كان ذلك ؟

(١) فى أكنافهم : فى رحابهم ، ويُلجأ إليهم فى الشدائد .

قالت :

● كان القوم إذا عرف أحدهم عن أخيه خَلّةً (حاجة) سدّها من حيث لا يعلم .

● ثم ذهب هؤلاء وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف عن أخيه خَلّةً سدّها من حيث يعلم .

● ثم ذهب هؤلاء ، وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف عن أخيه خلةً أحب أن يسأله ، فإذا سأله أعطاه !

● ثم ذهب هؤلاء ، وجاء قوم كان أحدهم إذا عرف من أخيه خلّةً ، أحبّ أن يسأله ، فإذا سأله منعه ، ثم فضحه !

* هجر .. ووصل !!

أبو حمزة الضّبّيّ كان كل أمله أن تلد له زوجته أبناء يكونون قُرة عينٍ له ، ولهذا يتملكه الغضب حين تلد زوجته بنتاً ، فيهجرها ويقضي وقت القيلولة والمبيت عند جيران له .

ولكنه عندما مرّ ذات يوم على خِباء امرأته وجدها ترقّصُ وليدتها وتقول :

ما لأبـــي حمـــزةَ لا يأتينـــا ... يَظَـــلّ في البيـت الـــذي يلينـــا
غَضْبـــانَ ألّا نَلِـــدَ البنينـــا ... تَاللهِ ما ذلك في أيدينـــــا
وإنمـــا نأخُـــذُ ما أعْطِينـــا ... ونحـــن كالأرض لزراعينـــا
نُنْبـــتُ ما قـــد زرعـــوه فينـــا !

فحركت هذه الكلمات مشاعره وعرف أن الله هو الواهب ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾

[الشورى : ٤٩]

وراح يقبل زوجته وابنته !

ورفرفت على الخِباء أعلام السعادة من جديد !!

* البعض يفضلونها بنتاً

تزوج أعرابى بأخرى على امرأة له ، فولدت الجديدة غلاماً وكان للقديمة بنت ! فأقبلت أم الغلام ترقصُه يوماً وتقول مُعَيّرةً لضَرّتها !

الحمـــدُ لله الحميـــدِ الغـــالى ... أنقـــدنى اليـــوم من الجوالى [1]
من كـلّ شـوهاءَ كشـنٍّ [2] بالـــى ... لاتـدفـعُ الغيْـم عن العيـــال

فسمعتها ضرّتُها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

ومـا عَلـىَّ أن تكـــونَ جـاريـــه ... تغسِـــلُ رأســى وتكـون الفالية
وترفـع الساقـط من خماريـه [3] ... حتـى إذا ما بلغـــت ثمانيـــه
أزّرتهـــا بنقبـــة يمانيـــه ... أنكحهـــا مـــروان أو معاويـــه
أصـــهار صـــدقٍ ومهـــور غاليـــه

قال : فسمع بذلك مروان ، فتزوجها على مائة ألف مثقال .

وقال : إن أمَّها حقيقة [4] ألا يكذّبَ ظنُّها ، ولا يخان عهدُها ؛ فقال معاوية : لولا أن مروان سبقنا ، لأضعفنا [5] إليها المهر ، ولكن لا تحرم الصلة ؛ فبعث إليها بمائة ألف !!

* هم كالحَلْقَةِ المُفْرَغَة
لايُدْرَى أين طرفاها ؟!

هذا مثل عربى قالته فاطمة بنت الحوشب الأنمارية امرأة زياد العَبْسىّ .

كان لها سبعة أولاد ذكور من نجباء العرب ! فقيل لها يوما : أىّ أولادك أفضل ؟

---

(١) الجوالى : الدنانير المجلوة التى لم تصدأ ، وأنقدنى أعطانى .
(٢) الشن : القربة البالية (٣) الخمار : غطاء الرأس .
(٤) أزّرتها : ألبستها الإزار .
(٥) تستحق ، وجديرة بذلك .
(٦) ضاعفنا وقدمناه إليها مضاعفاً .

قالت : الربيع .. لا بل عمارة .. لا بل فلان .. ثم قالت :
ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل !!
هُمْ كالحلْقةِ المُفْرَغةِ لا يُدْرى أين طرفاها ؟!

* هكذا ــ والله ــ أشتهى أن يكون كلام النساء

تعرضت أم سلمة امرأة محمد بن عبد الله بن الحسن للمنصور قائلة :
وهذان ابناىَ منه أمّنهَمُا سيفُك ؛ وأصرعَهُما خوفُك !!
فإن أردت أن تعطف عليهما بسوابق النسب ، وأواصِرِ الرّحم ، فلا تُصَعِّر خدّك لهما ، فتبيعَ الأولى للأخرى فافعل !!
قال المنصور :
هكذا والله أشتهى أن يكون كلامُ نساء العرب !
رُدُّوا على ولَدَى محمد ضِياع أبيهما ؛ فرُدّت !
ولم يزَل محسناً إليهما !

* أنس بن مالك وأمه !

أم سُلَيمْ هى سهلة بنت ملحان بن خالد الأنصارية ، إحدى السابقات إلى الإسلام ، والغازيات فى سبيل الله ، أسلمت ورسول الله ﷺ بمكة ، وبايعته حين مقدمه إلى المدينة ، وكان إسلامها مراغمةً لزوجها « مالك بن النضر » وكان ولدها أنس بن مالك يومئذ طفلا رضيعاً فكانت تقول له :
قل : لا إله إلا الله !
قل : أشهد أن محمداً رسول الله !

فجعل ينطق بذلك أول ما ينطق ، فكان ذلك مما يثير الغضب فى نفس مالك ؛ فيقول :

لا تُفْسِدى علىَّ ولدى !

ثم أَيْأَسهُ أمرُها فخرج عنها إلى الشام ، وهنالك كان مقتله ، فلما بلغها قَتْلُه قالت :

لا جَرَم [1] لا أفطم أنساً حتى يدَعَ الثدى ولا أتزوج حتى يجلسَ فى المجالس ، ويأمرنى !

فكان أنس يعرف لها تلك المِنّة ، فيقول :

جزى الله أمىّ عنى خيراً ، لقد أحسنت ولايتى ! حتى إذا شب أنس ، تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد بن سهل ـ وكان مشركاً ـ فأبت ثم قالت له يوماً :

أرأيت حجراً تعبده لا يضرُّك ولا ينفعك ، أو خشبة تأتى بها النجار فينجرها لك ، هل يضرك ؟ هل ينفعك ؟وأكثرت من أشباه ذلك الكلام ، فوقع فى قلبه الذى قالت ، فأتاها فقال :

لقد وقع فى قلبى الذى قلت !

وآمن بين يديها .

قالت : فإنى أتزوجك ، ولا أريد منك صداقاً غير الإسلام !

* الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم !

خرج أبناء الخنساء إلى القادسية ـ وكانوا أربعة ـ فكان مما أوصتهم به قولها :

يا بَنِىّ ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو مرأة واحدة ! ما هجَّنْتُ حَسَبَكمُ ، وما غيرت نسبكم .

واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا ، وصابروا ،

---

(١) لاجرم : حقّاً .

ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفحلون .

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجلَّلت ناراً على أرواقها ، فيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها [1] ، تظفروا بالغُنْم والكرامة ، فى دار الخُلد والمقامة .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها ، وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم حتى قُتِلوا واحداً فى إثرواحد .

ولما وافتها النُّعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت :

«الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة»[2] .

* ثكلتهُ إن لمْ يَسُدْ إلا قومَه !!

قال أبو هريرة :

رأيت هنداً جالسةً بمكة كأنها فلقة قمر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس .. ومعها ابنها معاوية ، وهو صبى يلعب !

فنظر إليه رجل من العرب فقال : إنى لأرى غلاماً إن عاش ساد قومه ! فقالت :

ثِكلتهُ إن لم يَسُدْ إلا قومهَ [3]

* هكذا كانوا يؤدبون الأبناء !

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى :

كانت أم يحيى بن جعفر البرمكى تزور أمى ، وكانت لبيبة من النساء حازمة

---

(١) الوطيس : المعركة أو الضرب فيها ، والرسيس : الأصل .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ٦٦ ـ ٦٧

(٣) فاكهة الصيف وأنيس الضيف للسيوطى . مكتبة القرآن .

فصيحة تبرز للقوم فى عفة فيتحدثون إليها ويجلسون . وكان يعجبنى أن أجدها عند أمى فأستكثر من حديثها ؛ فقلت لها ذات يوم :

ياأم جعفر ، إن بعض الناس يفضِّل جعفراً على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضلَ على جعفر ، فأخبرينى .

فقالت : مازلنا نعرف الفضل للفضل .

فقلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا .

فقالت : سأحدثك ، واقض أنت ـ وكان ذلك الذى أردت منها .

قالت : كانا يوماً يلعبان فى دارى ، فدخل أبوهما فدعا بالغداء ، وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم آنسهما بحديثه وقال لهما : أتلعبان بالشِّطرنج ؟ فقال جعفر ـ وكان أجرأهما ـ نعم !

وكان الفضل أكثر خبرة منه بها ؛ فجىء بالشِّطْرَنج ، فصُفَّت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل .

فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك !

فقال : لاأحب ذلك .

فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها منى فيأنف من ملاعبتى ، وأنا أراهنه أن يلاعبنى .

فقال الفضل : لاأفعل .

فقال أبوه : لاعبه وأنا معك .

فقال جعفر : رضيتُ ، وأَبَى الفضلُ ، وطلب من أبيه إعفاءه فأعفاه .

ثم قالت قد حدَّثْتُ فاقض .

فقلت : قد قضيت للفضل على أخيه !

فقالت : لو علمتُ أنك لا تحسن القضاء لَما حكَّمتُك ، أفلا ترى أن جعفراً قد سقط أربع سقطات تنزَّه الفضل عنهن :

فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشِّطْرَنج .

وكان أبوه صاحبَ جِدّ !

وسقط فى التزام ملاعبة أخيه ، وإظهار الشهوة لغَلبه ، والتعرُّض لغضبه !

وسقط فى التزام المقامرة ، وإظهار الحرص على مال أخيه ! والرابعة قاصمة الظهر ، حين قال أبوه لأخيه :

لاعبه وأنا معك

فقال أخوه : لا

وقال هو : نعم ، فعادى صفّاً فيه أبوه وأخوه !!

فقلت : أحسنتِ ، والله إنك لأَقْضَى من الشعبى [٢] .

ثم قلت لها : أناشدك الله أن تخبرينى:هل خفى مثل هذا على جعفر وقد فطن له أخوه ؟

قالت : لولا أنك تناشدنى الله لما أخبرتك . إن أباهما لما خرج ، قلت للفضل خالية به :

ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك ؟

فقال : كلَّا ، ولكنه الدواة التى وهبها لى أمير المؤمنين فعرضتها عليه ، فأبى قبولَها ، وطمعت أن يلاعبنى ، فأخاطره عليها ، وهو يغلبنى فتطيب نفسه بأخذها .

فقلت لها : ياأماه ، ما كانت هذه الدواة ؟ قالت :

إن جعفراً دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواةً من العقيق الأحمر ، محلَّاةً بالياقوت الأزرق والأصفر ؛ فرآه ينظر إليها فوهبها له .

فقلت : زيدينى من حديثهما .

فقالت : ثم قلت لجعفر : هبك اعتذرت بما سمعت ، فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال : لاعبه وأنا معك ؟

فقلت أنت : نعم ، وقال هو : لا .

(١) الشعبى : أحد رجال الفقه والقضاء توفى بالكوفة سنة ١٠٥ هـ

فقال : عرفت أنه غالبى ، ولو فتر لعبهُ لتغالبت له ؛ مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه !

قال : محمد بن عبد الرحمن : فقلت مظهرا إعجابى بما سمعت : هذه والله هى السيادة .

فقال : أمران :

أحدهما ـ أنى لو لاعبته لغلبته فأخجلته !

والثانى ـ قول أبى لاعبه وأنا معك ؛ فما يسرنى أن يكون أبى معى على أخى !

ثم خلوت بجعفر ، فقلت له : يسأل أبُوك عن اللعب بالشّطْرَنْج ، فيصمت أخوك وتعترف ، وأبوك صاحب جِدّ! فقال : إنى سمعت أبى يقول :

نِعْم لهوُ البالِ المكدود [1] ، وقد علم ما نلقاه منه كد التعلم والتأدب ، ولم آمَنْ أنْ يكون بلغه أنا نلعب بها ، ولا أن يبادر أخى فينكر ، فبادرت بالإقرار إشفاقاً على نفسى وعليه ، وقلت : إن كان توبيخ من أبى فسوف يوجَّه إلىَّ وأكون قد فديت أخى من المواجهة به .

فقلت له يا بنى ، فِلمَ تقول : ألاعبه مخاطرةً (مراهنة) ؟ كأنك تقامر أخاك ، وتستكثر ماله !

ثم قلت لها : ياأماه ، أكان منهما من بلغ الحُلُم ؟

فقالت : يا بنى عجيب أمرك ! أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول : أكان منهما من بلغ الحُلُم ؟!

لقد كنا ننهى الصبىَّ ـ إذا بلغ العشر وحضر من يُسْتَحى منه ـ أن يبتسم !!

---

(١) كدَّه : أجهده وأتبعه .

* الحق أنطقها وأخرسه

جلس المأمون يوماً للمظالم [1] ، فكان آخر من تقدم إليه وقد هم بالقيام : امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رَثّة ، فوقفت بين يديه وقالت :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى القاضى «يحيى بن أكثم» فقال يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى فى حاجتك . فقالت :

يا خيرَ منتصِفٍ يُهدَى له الرّشد ... ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميدَ القوم أرملةٌ ... عدا عليها فلم يترك لها سَبَدُ [2]
وابْتَز منى ضِياعى بعد منعتها ... ظُلْما ، وفرق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه فقال :

هذا أوان صلاةِ العصر فانصرفى ... وأحْضِرى الخصْمَ فى اليوم الذى أَعِدُ
والمجلسُ السبت إن يقض الجلوسُ لنا ... نُنْصِفْكِ منه وإلا المجلس الأحَدُ

فلما كان يوم الأحد ، جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة ، فقالت :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام .

أين الخصم ؟

قالت : الواقف على رأسك . وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال المأمون : يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ! فجعل كلامها يعلو كلام الأمير !

فقال لها أحمد : يا أمةَ الله ، إنك بين يدى أمير المؤمنين ؛ فاخفضى صوتك !

فقال المأمون : دعها ، فإن الحقّ أنطقها وأخرسه ! ثم قضى لها ، وأمر لها بنفقة ، وأوصى بحسن معاملتها !

---

(١) للفصل فى القضايا وإقامة العدل ودفع الظلم عن المظلومين وسماع مظلمتهم .

(٢) يقال : ماله سبَدٌ ولا لَبَدٌ : أى لا قليل ولا كثير .

* ماوقع بين المأمون والجارية بحضرة الرشيد(*)

كان لهارون الرشيد جارية غلامية(١) ، وكان المأمون يميل إليها ، وهو آنذاك أمرد(٢) ، فوقفت يوماً تصب على يد الرشيد من إبريق معها ، والمأمون جالس خلف الرشيد ، فأشار المأمون إليها كأنه يقبلها ، فأنكرت ذلك بعينيها ، وأبطأت في الصب على مقدار نظرها إلى المأمون وإشارتها إليه .

فقال الرشيد : ما هذا ؟

ضعي الإبريق من يدك ، ففعلت !

فقال : والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك !

فقالت : يا سيدى ! أشار إلىّ عبد الله كأنه يقبلني ، فأنكرت ذلك .

فالتفت إلى المأمون ونظر إليه ، كأنه ميت لما دخله من الجزع والخجل ، فرحمه ، وضمه إليه ، وقال :

يا عبد الله ، أتحبها ؟!

قال : نعم ! يا أميرَ المؤمنين .

قال : هي لك .

قم فادخل في تلك القبة ؛ ففعل .

ثم قال : هل قلت في هذا الأمر شعرا ؟

قال : نعم ، يا سيدى ، ثم أنشد :

ظبيٌ كتبتُ بطرفي ... من الضمير إليه
قَبّلْتهُ من بعيدٍ ... فاعتَلّ من شفتيه
وردّ أخبثَ ردّ ... بالكسْرِ من حاجبيه
فما برحت مكاني ... حتى قدرت عليه !

(*) الأمالى لأبى القالى .

(١) يعنى وصيفة على قد الغلام .

(٢) لم ينبت شعر لحيته وشاربه بعد !

* وصية غالية

قال رجل لولادة العبدية ـ وكانت أعقل النساء ـ إنى أريد الحج فأوصينى .
قالت : أأوجز فأبلغ ، أم أطيل فأحكم ؟!
فقال : بما شئت .
قالت : جُدْ تَسُدْ ، واصبر تَفُز .
قال : أيضاً .
قالت : لا يتَعَدّ غضبُك حلمَك ، ولا هواك علمَك . وفِرْ دينك بدنياك ، ووفّر عِرْضَك بعَرَضِك ، وتفضّل تخدم ، واحلم تُقَدّم .
قال : فمن أستعين ؟
قالت : إن قلت من الناس . قلت : الجَلْد النشيط ، والناصح الأمين .
قال : فمن أستشير ؟
قالت : المجرّب الكيِّس ، أو الأديب ولو الصغير ،
قال : فمن أستصحب ؟
قالت : الصديق الملم ، أو المداجى المتكرم .
ثم قالت : يا بُنَاهُ إنك تفد على ملك الملوك فانظر كيف يكون مقامك بين يديه !

* بم أوصت الأم ابنها المسافر ؟

مما تحدث به «ابن الأنبارى» ورواه «المبرد» فى «الكامل» قال «أبان بن تغلب» وكان عابدًا من عُبَّاد البصرة شهدت أعرابيةٌ وهى توصى ولداً لها يريد سفراً ، وهى تقول له : أىْ بنى : اجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك .
قال أبان : فوقفت مستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها ، فإذا هى تقول :

أَىْ بنى [1] ، إياك والنميمة ؛ فإنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين .

وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً [2] ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلَّما اعتورت السهام غرضاً إلا كَلَمَتْه [3] ، حتى يهى [4] ما اشتدَّ من قوته !!

وإياك والجودَ بدينك ، والبخل بمالك .

وإذا هززت [5] فاهزز كريماً يَلينْ لِهزَّتك ، ولا تهزز اللئيم ؛ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها !!

ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ؛ فإن المرء لا يرى عيبَ نفسه .

ومن كانت مودّته بشره ، وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها . ثم أمسكت . قال أبان : فدنوت منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، ألا زِدْتِه فى الوصية .

فقالت : والغدر أقبحُ ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع إلى الحلم السخاء فقد أجاد الحلة [6] : رَيْطتها وسر بالها .

* سؤال الناس ما فى أيديهم

قالت أعرابية لابنها :

أى بُنَىّ ، إن سؤالك الناس ما فى أيديهم من أشد الافتقار إليهم !

ومن افتقرت إليه هنت عليه !

---

(١) أى أداه لنداء القريب مكانة أو مكاناً ، كما أن ياء لنداء البعير .

(٢) تصبح هدفا ، فمن كان بيته من زجاج لا يرمى الناس بالحجارة .

(٣) اعتورت تناولت وأصابت . وكلمته جرحته ونالت منه . (٤) يهى : يضعف .

(٥) هزه : حركه وهيجه للعمل كى يستجيب لما يطلبه منه.

(٦) الحُلَّة : كل ثوب جديد أو عموماً : الثوب الساتر لجميع البدن.والريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، والسِّربال القميص . وتقصد أنه بتحليه بالحلم والسخاء يكون قد بلغ الغاية فى مكارم الأخلاق .

ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب ! فإذا ألحت عليك الحاجة ، ولزمك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول !

* كان ظهراً فانكسر !

حدث إسحاق الموصلى عن رجل من أهل المدينة قال :

كنت فى جنازة عبد الله بن ربيعة الحارث بن عبد المطلب وإذا امرأة تقول : واحـــرّاه عليـــــك !

فسألت عنها ، فقالوا : هذه أُمّه ؛ فدنوت منها ، فقلت ياأم عبد الله !

إن عبد الله كان بعض البشر ، فقالت : إن عبد الله كان ظهراً فانكسر ، وأصبح أجراً يُنتظر !

وإن فى ثواب الله لَعَزَاء عن القليل ، وجزاء على الكثير !

* حديث فتاة

حدّث التّوّزىّ عن بعض الكتاب قال :

دخلت البصرة أنا وصديق لى فرأيت فتاةً قد خرجت من بعض الدور كأنها فلقة قمر !

فقلت لصاحبى :

لَوْ مِلْت بنا فاستسقيناها ماء ! ففعل . فقلنا لها : جعلنا الله فداءَك ! اسقينا ماء !

فقالت : نعم وكرامة !

فدخلت وأخرجت كوز ماء وهى تقول :

أَلَا حَىٍّ شخصَىْ قاصِدين أراهُما ... أقاما فما إن يعرفا مبتغاهما

هما استسقيا ماءً على غير ظَمْأَةٍ ... لِيَسْتَمتِعا باللحظِ مِمّن سقاهما

* رَدّ لاذع !

قال أبو الحسن المدائنى :

كان عند روح بن زِنباع هندُ بْنَةُ النعمان بن بشير .

وكان شديدَ الغَيرة !!

فأشرفت [1] يوماً تنظر إلى وفد من جُذام كانوا عنده ؛ فزجرها !

فقالت :

والله إنى لأبْغَضُ الحلالَ من جُذام !

فكيف تخافنى على الحرام فيهم ؟!

* حُرقَةُ بنت النعمان

كان أبوها النعمان ملك الحيرة من بلاد العرب وهو أول ملك قيل له فى معرض المديح :

«أبَيْــتَ اللَّعْــنَ»

أى أنك لا تفعل ما تُلام عليه !

حقد عليه كسرى ملك الفرس لوشاية نقلت إليه ، وفضل النعمان أن يلقاه ليبرىء نفسه ولكن كسرى أمر بسجنه حتى مات فى السجن .

وهكذا كتب على حرقة أن تنزل من الرفعة إلى الذلة بعد أن نكبها الزمان !

مر زياد بن أبيه بالحيرة ، فرأى ديرا هناك ، فسأل : لمن هذا الدير !

فقيل له : إنه دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال : ميلوا بنا إليه لنسمع كلامها .

فلما وصلوا قال لها الخادم :

---

(١) أشرفت : أطلت وتطلعت .

كلمى الأمير .. فقالت :

أأوجز أم أطيل ؟

قال : بل أوجزى ..

قالت : كنا كأهل بيت طلعت الشمس علينا ، وما على الأرض أحد أعز منا !

فما غابت تلك الشمس ، حتى رحمَنا عدوُّنا !

ثم قالت : أيها الأمير ، ما من دار امتلأت سروراً ، إلا امتلأت بعد ذلك ثُبُوراً .

فأمر لها بما تستعين به على حياتها !

فقالت : أطعمتك يد شبعاء جاعت !

ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت !

فقال زياد لشاعر معه :

قيد هذا الكلام ليدرس !

فقال :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدماً ولا تَسَلْ فَتَى ذاق طعمَ الخير منذ قريب !

* حُرْقَة وسعد بن أبى وقّاص

كانت حُرقة قد وفدت يوماً على سعد بن أبى وقاص ، أمير القادسية بعد استيلاء المسلمين على ملك فارس وكان معها جواريها ، وكن جميعاً فى ثياب سوداء ممزقة ، فلما وقفن بين يدى سعد قال :

أفيكُنّ حرقة ؟

قالت : هأنذا !

قال : أنت حرقة ؟! ـ كأنه كان ينكرها لسوء حالها ـ

قالت : نعم .

فما تكرارك فى الاستفهام ؟!

ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، لا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالًا ، ويُعْقِبهُم بعد حالٍ حالاً !

كنا ملوك هذا المِصْر يُجْبىَ لنا خراجُه ..

فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصانا ، وشتَّتَ شملنا ، وكذلك الدهر يا سعد ، إنه ليس يأتى قوماً بمسرة ، إلا ويعقبهم بحسرة . ثم قالت :

فبينا نسوسُ الناسَ والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سُوقةٌ نتنصّفُ
فأفٍّ لدنيا لايدوم نعيمُها ... تَقَلّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

* ارحموا عزيزا ذَلّ[1]

وجه الرسول ﷺ إلى طيىء فريقاً من جنده ، يقدمه علىّ عليه السلام ، ففزع عدى بن حاتم الطائى [2] ـ وكان من أشد الناس عداء لرسول الله ـ إلى الشام فصبحّ علىّ القوم ، واستاق خيلهم ونَعَمَهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله .

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم « سَفّانة بنت حاتم » فقالت :

يا محمد ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافِد !

فإن رأيت أن تُخَلِّىَ عنى ، ولا تُشْمِتَ بى أحياء العرب ! ؛ فإن أبى كان سيدَ قومه ، يَفُكّ العانى [3] ، ويقتل الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحمى الذّمار [4] ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويُفْشِى السلام ، ويحمل الكَلّ [5] ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحدٌ فى حاجةٍ فرده خائبا .

أنا بنت حاتم الطائى !

---

(١) الأغانى ص ٩٣ ج ١٦ ، وإنسان العيون ص ٢٨٥ ح ٢ ، غرر الخصائص ص ١٢

(٢) عدى بن حاتم : صحابى من الأجواد العقلاء ، كان رئيس قومه فى الجاهلية والإسلام ، وكان إسلامه سنة ٩ هجرية ، وشهد فتح العراق ، والجمل ، وصفين والنهروان مع على .

(٣) العانى : الأسير .

(٤) الذّمار : الحمى ومايجب على الإنسان أن يحميه من مال وعرض وأرض .

(٥) الكل : العائل واليتم .

فقال النبى ﷺ :

يا جارية ، هذه صفات المؤمنين حقًّا ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه .

خلُّوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارمَ الأخلاق !

ثم قال :

«ارحموا عزيزاً ذَلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً بين جهال» .

[رواه العسكرى وابن حبان بسند فيه منكر]

وامتن عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها !

فاستأذنته فى الدعاء له ، فأذن لها ، وقال لأصحابه :

اسمعوا وعُوا . فقالت :

أصـــاب اللهُ بِبَرِّك مواقِعــه !

ولا جعــلَ لك إلى لئــيم حاجــة !

ولا سلب نعمة عن كريم قومٍ إلا جعلك سبباً فى ردها عليه . فلما أطلقها ، رجعت إلى أخيها عدى ، وهو بدُومَة الجندل .

فقالت له :

يا أخى ، إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله . فإنى قد رأيت هدياً ورأياً ، سيغلبُ أهل الغلبة . ورأيت خصالا تعجبنى :

- رأيتــه يحــب الفقيــر !
- ويفــكّ الأســير !
- ويرحــم الصغيــر !
- ويعــرف قــدر الكبيــر !
- وما رأيت أجود ولا أكرم منه !

فإن يكن نبيًّا فلينلْك فضلُه ، وإن يكن ملكاً فلن تزال فى عز ملكه .

فقدم «عدى» إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وأسلمت «سَفّانة» !

★★★

وبعد هذه الجولة فى

«دنيا المرأة»

أرجو أولا ـ أن تكون هذه «الأقاصيص» قد أبرزت لك ملامحَها وسماتِها ، وصورت لك جوانب حياتها !

وأرجو ثانياً ـ أن تدخل دنياها وأنت أعرف بها فى جدّها وهَزْلها ، وغضبها ومرحها !

ولكما معاً أجمل أمنيات السعادة !!